انجمن علمی مطالعات نهج البلاغه ایران
الجمعية العلمية لدراسات نهج البلاغة في ايران

دانشگاه پیام نور

فصلية علمية - محكمة نصف سنوية

دراسات حديثة في نهج البلاغة

- أدب المقاومة في نهج البلاغة ١
  ليلا قنبرى
- تحليل أسس السياسة العلوية (ع) ٨
  أكرم احمديان احمدآبادى/ محمد اخوان
- توثيق نهج البلاغة وتأريخه على ضوء المعايير الأدبية والبلاغية: دراسة تحليلية لأول بحث غربي ممنهج حول نهج البلاغة ١٧
  على حسن نيا
- حقوق المواطنة الإسلامية وفقا للتعاليم العلوية ٢٨
  كاظم منافي شرف آباد
- دراسة طبيعة السبّ و اللعن عند الإمام علي (ع) في نهج البلاغة ٤٠
  أكبر توحيدلو
- كيفية مواجهة الإمام علي (ع) مع المحاربين في عهد حكومته مع التأكيد على نصّ نهج البلاغة ٤٩
  نرگس السادات مبلغ

السنة الأولى، العدد الأول، خريف و شتاء ١٤٣٩(المتوالي١)

ISSN:2476-4671

فصليتان علميتان- محكمتان دراسات حديثة في نهج البلاغة. السنة الأولى، العدد الأول، خريف و شتاء ١٤٣٩(المتوالي١). من صفحة ٣٩ الى ٥٨

كيفية مواجهة الإمام علي (ع) مع المحاربين في عهد حكومته مع التأكيد على نصّ نهج البلاغة

تأريخ الاستلام: ١٤٣٨/١٠/٢٨ تأريخ القبول: ١٤٣٩/١/٤

نرگس انسادات مبلغ*

ملخّص

من المواضيع المطروحة في الفقه السياسي الإسلامي، والذي يُعتبر هدفاً قرآنياً، هو موضوع المحاربين. وفي هذا السياق، يُعتبر أنموذج سلوك الأئمّة المعصومين (ع) والذين يُعتبرون المفسّرين الحقيقيين للقرآن الكريم، من أفضل المعايير في إطار هذه المواجهة. كان الإمام علي (ع) في مواجهة المحاربين خلال خلافته التي إستمرّت خمس سنوات. كان المحاربون في زمن أمير المؤمنين (ع) ينقسمون إلى ثلاث مجموعات؛ الناكثين والقاسطين والمارقين، وكان أمير المؤمنين (ع) يجد لزاماً على نفسه مكوّنات محدّدة في موضوع المواجهة مع هذه المجموعات الثلاثة. تسعى هذه المقالة للإجابة على هذا التساؤل والذي مفاده، هل الإمام علي (ع) في مواجهته لهذه المجموعات الثلاثة كان لديه أسلوب واحد أو أنّ أسلوبه كان وفقاً للظروف واختلاف الأفراد، وذلك عن طريق تجميع النصوص وتحليلها بهدف توضيح أسلوب الإمام (ع) في مواجهته للمحاربين.

الكلمات الرئيسية: المحارب، الإمام علي (ع)، الحرب، النصيحة، الهداية، نهج البلاغة.

*طالبة الدكتوراه فرع معارف نهج البلاغة بجامعةپيام نور (narges.mobalegh@gmail.com).

المقدّمة

المحارب، مصطلح وضع القرآن الكريم أساسه وأصدر أحكاما نه. توجد روايات عن الأئمّة المعصومين (ع) في هذا السياق تحتوي على تعريف المحارب والأحكام المتعلّقة به وفقاً لآيات القرآن الكريم. بالنظر إلى ما جاء في الفقه السياسي الإسلامي فيما يخصّ المحاربين، يبدو أنّ مواجهتهم ضرورية في حال لم يتوبوا، ولكن نوع المواجهة والكمّية يعودان إلى حكم الإمام. ولكن مايسعى إليه هذا البحث، هو السلوك العملي للقادة المعصومين (ع) في هذا السياق، يمكن أن تكون فترة خلافة الإمام علي (ع) بالنظر إلى ما ورد في المصادر الروائية وعلى الأخصّ كتاب نهج البلاغة، مثالاً جيّداً لبحث هذا التصرّف العملي مع المحاربين.

بداية، تمّ تعريف موجز للمحاربين وأحكامهم وفقاً للقرآن الكريم والروايات ووجهات نظر الفقهاء والمفسّرين في هذا البحث. وخلال الفصل الثاني، تمّ التعرّف على أمثلة من المحاربين في زمن خلافة الإمام علي (ع) وفقاً لهذه التعاريف. ولاحقاً، تمّ التطرّق إلى موضوع وجوب مواجهة المحاربين من وجهة نظر الإمام علي (ع)، وهل أنّه من وجهة نظره (ع) كانت مواجهة هؤلاء الأفراد أو تلك المجموعات أمراً ضرورياً أم لا؟ وفي نهاية المقال، تمّ البحث في سلوك الإمام (ع) مع مثل هؤلاء الأفراد أو المجموعات.

المحارب في اللغة

تعود جذور المحارب في اللغة إلى الحرب. فالحرب نقيض السلم (فراهيدي، ١٤١٠: ٣/٢١٣، ابن منظور، ١٤١٤: ١/٣٠٢) الذي هو في الأصل بمعنى القتل والسرقة، وفي الحالة الأخيرة يجب أن يكون معها دليل (ابن فارس، ١٤٠٤: ٢/٤٨؛ مصطفوي، ١٣٦٠: ٢/ ١٨٤- ١٨٥). وحينما تنتقل الحرب إلى باب المفاعلة، أي المحاربة، وتصبح مشتركة، فإنّها تفيد معنى الصراع أو النزاع المستمرّ (مصطفوي، ١٣٦٠: ٢/ ١٨٤). كذلك في الآية ٣٣ من سورة المائدة المباركة يأتي المحارب بمعنى الإستمرار في معارضة السلم، والإستمرار في الصراع أو النزاع والمعصية (فراهيدي، ١٤١٠: ٣/٢١٤؛ ابن منظور، ١٤١٤: ١/ ٣٠٣؛ مصطفوي، ١٣٦٠: ٢/ ١٨٥).

المحارب من وجهة نظر القرآن والروايات

موضوع المحارب المذكور في سورة المائدة: (إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتّلوا أو يُصلّبوا أو تُقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوْا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم). (المائدة/٣٣).

يُفهم من ظاهر الآية أنّ المحارب هو من يحارب الله ورسوله ويفسد في الأرض. وفقاً للمصادر الروائية والتفسيرية، المقصود من المحارب في هذه الآية الكريمة هو الفرد الذي يرفع السلاح(سواء كان مسلماً أم مشركاً) (العيّاشي، بي تا: ١/٣١٤، حديث ٨٩)، ويعمل على نشر الخوف وإيجاد حالة إنعدام الأمن العام (سواء في المدينة أم خارجها) (المصدر السابق، ١/ ٣١٥، حديث ٨٩؛ الكليني، ١٤٠٧: ٧/ ٢٤٨، حديث ١٢؛ الطوسي، ١٤٠٧: ١٠/ ١٣٢، حديث ١٤١؛ الطوسي، ١٤٠٩: ٣/ ٥٠٤- ٥٠٥؛ طباطبائي، ١٣٧٤: ٥/ ٥٣٤).

وفقاً لهذه الآية المباركة، إنّ حكم المحاربين يتمثّل في قتلهم، أو تعليقهم وقطع اليد والرجل من خلاف أو نفيهم. وفي نهاية الأمر، سينتظر المحاربين عذاب شديد في الآخرة.

هذه الأحكام تتناسب مع ما يقوم به المحارب؛ فلو كان قد قتل نفساً فحكمه الإعدام، ولو كان قد قتل نفساً وسرق مالاً، فإضافة إلى إعدامه يجب استرداد المال الذي سرقه. ولو كان قد سرق مالاً دون أن يقتل نفساً، فجزاؤه قطعُ يده ورجله من خلاف. ولو كان قد أوجد الرعب والخوف ونشر حالةً من عدم الأمان، فحكمه النفي من البلاد. (الكليني، ١٤٠٧: ٧/ ٢٤٧- ٢٤٨، حديث ١١، ١٣؛ الطوسي، ١٤٠٧: ١٠/ ١٣٢، حديث ١٤٢؛ الطوسي، ١٤٠٩: ٣/ ٥٠٤). ولو أعلن التوبة قبل إلقاء القبض عليه لايُطبّق عليه أيّ من الأحكام الآنفة الذكر (الكليني، ١٤٠٧: ٧/ ٢٤٨، حديث ١٣؛ الطوسي، ١٤٠٩: ٣/ ٥٠٩؛ طباطبايي، ١٣٧٤: ٥/٣٥٣). والله يغفرها كلّها.

أمّا النقطة الأهمّ التي تُستخلص من الروايات فتتمثّل في أنّ تنفيذ الحكم على المحارب من صلاحيات الإمام ولا صلة له بأولياء الدم، أي عَفَوا أصحاب الدم المحاربَ القاتلَ، على الإمام القيام بإعدامه، ولو قام أولياء الدم بأخذ الدية منه عوضاً عن الإعدام، فأيضاً على الإمام القيام بتنفيذ حكم الإعدام فيه. (العيّاشي، بي تا: ١/ ٣١٤- ٣١٥؛ الكليني، ١٤٠٧: ٧/ ٢٤٥- ٢٤٨، حديث ٣ و ٥و ٨و ١٢؛ الطوسي، ١٤٠٧: ١٠/ ١٣٢، حديث ١٤١).

على هذا الأساس، إنّ المحارب هو من يرفع السلاح بيده ويعمل على ايجاد عدم الإستقرار و انعدام الأمن والأمان العام. يجب على الحكومة منعه من القيام بهذا العمل وتنفيذ الحكم والعقوبة عليه بما يتناسبان والعمل الذي قام به. ولو أعلن التوبة والندامة قبل إلقاء القبض عليه، يشمله العفو.

مصاديق المحاربين في زمن الإمام علي (ع)

من أجل بحث سلوك وتصرّف الإمام علي (ع) مع المحاربين في عهده، بداية يجب معرفة المحاربين في زمن الإمام (ع). يبدو أنّ مصاديق المحاربين في عهد الإمام علي (ع) هي نفسها التي دفعت الإمام (ع) لمحاربتهم، أي أصحاب الجمل والقاسطين والخوارج. " ... ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض، فأمّا الناكثون فقد قاتلتُ، وأمّا القاسطون فقد جاهدتُ، وأمّا المارقة فقد دوّختُ..." (الشريف الرضي، لا تا: ٢٩٩-٣٠٠، الخطبة ١٩٢).

المقصود من الناكثين أصحاب الجمل، أي طلحة والزبير وعائشة والذين رافقوهم. كما أنّ المقصود من القاسطين معاوية ومناصريه، بينما المارقة هم الخوارج.

١. أصحاب الجمل

يُعدّ أصحاب الجمل أمثلة واضحة للمحاربين في عهد الإمام (ع). بعد أن خان طلحة والزبير الإمام علي (ع) أعلنوا الحرب عليه. (الشريف الرضي، لا تا: ٦٣، الخطبة ٢٢). حيث قاموا ومعهم عائشة بإثارة الناس ضدّ الإمام علي (ع). (المفيد، ١٤١٣: ٢٣٢- ٢٣٤).

حين وصلوا إلى البصرة لم يكتفوا بايجاد الفرقة والخلاف بين سكّان هذه المدينة فحسب (المصدر السابق: ٢٧٨- ٢٧٩)؛ بل عمدوا على نقض عهدهم مع عثمان بن حنيف (والي البصرة) والذي لم يُلحِق أذىً بالناس إلى حين وصول أمير المؤمنين (ع)، كما قاموا بإلقاء القبض عليه وتعذيبه وقتل أصحابه وأمناء الصناديق على بيت المال.(المصدر السابق: ٢٧٩- ٢٨١؛ ابن ميثم البحراني، ١٣٧٥: ٣/ ٦٠٩- ٦٢٠).

فأعمالهم توضّح على أفضل وجه طبيعتهم كمحاربين؛ لأنّهم أفسدوا في الأرض، وأوجدوا حالةً من عدم الإستقرار وقاموا بقتل عدد كبير من الناس. (ابن ميثم البحراني، ١٣٧٥: ٣/ ٦٠٩- ٦٢٠).

يوضّح حديث الإمام (ع) سلوك هذه المجموعة، ويبيّن نقض العهد وإيجاد الفوضى والشغب ضدّه: " إنّهما قطعاني وظلماني، ونكثا بيعتي، وألّبا الناس عليّ" (الشريف الرضي، لا تا: ١٩٥، كلام ١٣٧)." فقدموا على عمّالي وخزّان بيت المسلمين الذي في يديّ وعلى أهل مصر كلّهم في طاعتي وعلى بيعتي فشتّتوا كلمتهم وأفسدوا عليّ جماعتهم ووثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدراً وطائفة عضّوا على أسيافهم فضاربوا بها حتّى لقوا الله صادقين" (المصدر السابق: ٣٣٦-٣٣٧، كلام ٢١٨).

٢. القاسطون

يُعتبر معاوية من مصاديق المحاربين وفقاً لما جاء في كلام الإمام والمصادر التاريخية. فعلى الرغم من أنّ أمير المؤمنين (ع) كتب رسالة لمعاوية بعد أن تبوّأ الخلافة وطالبه بالبيعة، إلا أنّه بسبب نيّته الإستحواذ على الحكم لجأ إلى التمرّد ورفض أوامر الإمام (ع)، فقد وصف بيعة الناس مع الإمام (ع) بأنّها غير صحيحة وعرّف نفسه على أنّه الطالب بدم عثمان. وبعد أن ردّ الإمام (ع) على الإدّعاءات الكاذبة لمعاوية (المصدر السابق: ٤١٠، رسالة ٣٧)، أعلن معاوية الحرب على الإمام (ع). تصرّفات معاوية التي أعلن بموجبها الحرب وفي نهاية الأمر توضّح كوْنه محارباً هي كالآتي:

٢-١. المطالبة بدم عثمان

وجّه معاوية اتهامات للإمام علي (ع) من خلال رسالة بعثها إليه، وفي النهاية يعرّف الإمام (ع) على أنّه عامل ثورة الناس ضدّ عثمان لا وبل قاتل عثمان: " أنت قمت بخداع ابن عمّك عثمان، وحسدته، وأثرتَ الناس ضدّه، إلى أن لقى حتفه بحضورك ولم تدافع عنه لا بيدك ولا بلسانك، وبانيت بدلاً من أن تنفّذ مكرك وترويرك بحقّه في السرّ، لقمتَ بنصرته علانية كي تحفظ على عذرك بين الناس، مهما كان ضعيفاً، وتتبرّأ من دمه وتدافع عنه، مهما كان الدفاع ضعيفاً وقليلاً". (ابن أبي الحديد، ١٣٧٥: ١٦٢/٧).

لكنّ أمير المؤمنين (ع) قد أعلن صراحة في خطبته أنّ إدّعاء معاوية في طلب الثأر بدم عثمان غير مبرّر وله قصد آخر من هذا الموضوع؛ كان قصده التشكيك بشرعية حاكم الزمان والتمرّد ضدّه. على أيّة حال، يمكن استنتاج هذه النقطة من الرسائل المدوّنة أدناه: " وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَ لَا إِلَى غَيْرِكَ وَ لَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَ شِقَاقِكَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ" (الشريف الرضي، لا تا: ٣٦٩، الرسالة ٩).

" وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِدَمِ عُثْمَانَ وَ لَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً" (المصدر السابق: ٣٧٠-٣٧١، الرسالة ١٠).

٢-٢. اعتبار البيعة مع الإمام غير صحيحة

يَعتبر معاوية خلال رسالته للإمام (ع) بيعة الناس معه باطلة وحكمه غير شرعي: " ومن أجل الوصول إلى الحكم شمّرتَ عن ساعديك ورفعتَ ردائك وأعلنتَ استعدادك، وطلبت من الناس أن يبايعوك كما أجبرت أشراف المسلمين على بيعتك، وبعد ذلك الأعمال التي قمت بها." (ابن أبي الحديد، ١٣٧٥: ١٦٢/٧).

بطبيعة الحال لم يكن قصده الخير أو الإصلاح، بل من منطلق السلطة وحضّ الناس على التمرّد على الإمام والاتّكاء على مسند الحكم. كما حصل بعد استشهاد أمير المؤمنين (ع) حينما وجّه خطاباً لأهل العراق أماط اللثام من خلاله عن بعض أهدافه السابقة حيث اعترف أنّه كان يهدف إلى حكم الناس والإمساك بالإمارة وليس بدافع الخير للإسلام والمسلمين".(المصدر السابق، ١٦/ ٤٦). تصرّف معاوية هذا يمكن إعتباره مقدّمة لمحاربة الإمام (ع).

٢-٣. الإدّعاء الباطل

وخلال عملية سعْي معاوية للحصول على القوّة والسلطة، ادّعى الحكم وأعلن أنّه يليق به. هذه الحقيقة انعكست بصورة جيّدة في كلام الإمام (ع): " وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدِنِهِ فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ" (الشريف الرضي، لا تا: ٤٥٥، الرسالة ٦٤). " وَحَيَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدْراً أَوْ وِرْداً أَوْ

أُجْرِيَ لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْداً أَوْ عَهْداً" (المصدر السابق: ٤٥٦، الرسالة ٦٥). " ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرّعيّة، وولاة أمر الأمّة بغير قدم سابق، ولا شرف باسق." (المصدر السابق: ٣٧٠، الرسالة ١٠).

بعد هذه التصرّفات، أعلن معاوية الحرب على الإمام بصورة رسمية. وعلى هذا الأساس، يجب اعتباره محارباً. يقول معاوية في رسالة للإمام (ع): " والآن وأنا مع جيش من المهاجرين والأنصار مسلّحين بسيوف شامية ورماح قحطانية، أهدف إلى أن يحاكموك أمام الله، لذا فكّر في نفسك والمسلمين وسلّمني قتلة عثمان من القريبين إليك ومناصريك." (ابن أبي الحديد، ١٣٧٥: ١٦٣/٧).

وبعد انتهاء معركة صفّين، دأب معاوية على إرسال مجموعات من اللصوص إلى الأراضي التي كانت تخضع لحكم الإمام (ع) من أجل بثّ الفوضى وعدم الإستقرار في البلدات والمدن وزعزعة الأمن. (الثقفي، بي تا: ٤١٦/٢-٤٦٩، ٤٢٣- ٦٠٠، ٤٧٩- ٦٢١)؛ الشريف الرضي، لا تا: ٦٦ و ٧٢، الخطبة ٢٥و٢٩). جميع هذه الأدلّة توضّح على أكمل وجه طبيعة معاوية وأتباعه في المحاربة.

٣. الخوارج

وفقاً لما ورد في المصادر التاريخية، إنّ الخوارج من مصاديق المحاربين وتشملهم آية المحاربين. بعد معركة صفّين كان الخوارج بداية في الكوفة وبسبب تجمّعهم وارتفاع عددهم إلى حدّ كبير، توجّهوا إلى منطقة من توابع الكوفة تُسمّى "حروراء" وهناك أطلقوا صرختهم التي تمثّلت في: " أنّ الحكم لله ولو كره المشركون، في الواقع إنّ علياً ومعاوية أشركا في حكم الله". (ابن أبي الحديد، ١٣٧٥: ٤١٢/١).

حينما نهض الإمام (ع) لمواجهة هؤلاء، كانوا قد أفسدوا في الأرض وقتلوا مجموعة من أصحابه الصالحين، من ضمنهم عبدالله بن خبّاب، وشقّوا بطن زوجته التي كانت حاملةً آنذاك، كما قتلوا ثلاث نسوة وعمدوا على قتل حارث بن مرّة مبعوث الإمام (ع) من أجل الوقوف على أحوال هؤلاء (الدينوري، ١٣٧١: ١٦٧/١- ١٦٨؛ البلاذري، ١٣٩٤: ٣٦٨؛ البحراني، ١٣٧٥: ٣٣٦/٢) و كانوا يرون في الحرب الردّ الوحيد لدعوات الإمام (ع) (الدينوري، ١٣٧١: ١٦٨/١- ١٦٩؛ الشريف الرضي، لا تا: ٨٠، الخطبة ٣٦؛ ابن أبي الحديد، ١٣٧٥: ٣٨٠/١). كلّ هذا شاهد على كوْنهم محاربين.

ضرورة مواجهة المحاربين من وجهة نظر الإمام علي (ع)

السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل مواجهة المحاربين من وجهة نظر الإمام علي (ع) ضرورة أم لا؟ وفي حال الضرورة ما الذي يترتب عليه؟

يرى الإمام علي (ع) أنّ مواجهة المحاربين أمر واجب، و تعدّها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. كما يؤكّد في حديثه أنّ عدم القيام بهذا الأمر يصل إلى مرتبة الكفر بما أتى به الرسول الأعظم (ص) والقرآن الكريم والبقاء في نيران جهنّم (المنقري، ١٤٠٣: ٤٧٤؛ الشريف الرضي، لا تا: ٨٤ و ٩١، الكلام ٤٣ والخطبة ٥٤؛ ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ٢٠٧/٢- ٢٠٨). بالتأكيد إنّ هذه المواجهة لن تتبلور إلا بعد اجتياز بعض المراحل ومراعاة بعض الظروف، وسوف نتطرق إلى تفاصيل هذه المراحل والظروف في قسم كيفية مواجهة الإمام علي (ع) للمحاربين.

ضرورة مواجهة المحاربين في نهج البلاغة مبنية على ثلاثة عناصر؛ العنصر الأوّل: ضرورة توقيف كلّ من سعى للفساد في الأرض وأصبح ظالماً.العنصر الثاني: ضرورة الالتزام بالبيعة ووجوب إعادة من نكث بيعته أو الذي يطلب شيئاً لاحقّ له فيه.العنصر الثالث: ضرورة الدفاع عن الثغور والأرض على كلّ مسلم.

١.ضرورة توقيف المفسدين والظلمة

يُستفاد ثلاث نقاط في حديث الإمام (ع) حول المفسدين والظلمة؛ قسم توضّح النتيجة النهائية لمواجهة الظلمة والمفسدين، بينما القسم الآخر يبيّن معيار رخصة عدم المواجهة، وأخيراً وجوب هذه المواجهة وفقاً لحكم القرآن والسنّة النبوية الشريفة كما يراها هو (ع). يرى أمير المؤمنين (ع) في قتال الظلمة سبباً لنجاة الإنسان ومصدراً ليقينه: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدْوَاناً يُعْمَلُ بِهِ وَ مُنْكَراً يُدْعَى إِلَيْهِ فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَ بَرِئَ وَ مَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ وَ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ وَ مَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَ كَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى وَ قَامَ عَلَى الطَّرِيقِ وَ نَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ." (الشريف الرضي، لا تا: ٥٤١، الحكمة٣٧٣).

ومن جانب آخر، يعرّف الإمام (ع) نفسه في خطبة القاصعة كمأمور للحرب مع الظلمة: " أَلَا وَ قَدْ أَمَرَنِيَ اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَ النَّكْثِ وَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ وَ أَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ ... وَ بَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ وَ لَئِنْ أَذِنَ اللَّهُ فِي الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لَأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَذُّراً." (المصدر السابق: ٢٩٩-٣٠٠، الخطبة١٩٢).

يمكن استخلاص هذا المعنى من خطبة الإمام (ع) والمتمثّل في أنّه (ع) نهض لمواجهة المحاربين وفقاً لأحكام القرآن الكريم (المائدة: ٣٣)، ومن ناحية أخرى أضفى على كلام رسول الله (ص) صفة العملية والذي تفضّل قائلاً: " ياعلي، بعد فترة من رحيلي عن هذه الدنيا سوف تحارب هذه المجموعات الثلاث: الناكثين والقاسطين والمارقين" (ابن طاووس، ١٤١٣ق: ٤١٥؛ المجلسي، ١٤٠٣ق: ٣٨/ ١٢٣).

تجدر الإشارة إلى أنّ المجموعات الثلاثة كانوا ظالمين، حيث أنّ جميع من كان في تلك المجموعات الثلاث قد خرجوا من الصراط المستقيم واختاروا الظلم والجور (ابن ميثم البحراني، ١٣٧٥: ٤/ ٥٢٢- ٥٢٣). وبهذه الطريقة، فإنّ الإمام (ع) قد عمل في موضوع مواجهة المحاربين وفقاً لكتاب الله وسنّة رسوله (ص). (الشريف الرضي، لا تا: ٢٤٤، الخطبة ١٦٩)

كما أنّه (ع) يوضّح معيار المواجهة مع أصحاب الجمل (الناكثين) على النحو التالي: "... فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا وَ خُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً وَ طَائِفَةً غَدْراً فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا وَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَ لَا بِيَدٍ دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ." (الشريف الرضي، لا تا: ٢٤٧، الخطبة ١٧٢).

أوضح أمير المؤمنين (ع) في الخطبة السابقة دليله في قتال أصحاب الجمل، وأنّ الذنب الكبير الذي اقترفوه وسبّب في قتالهم هو قتلهم لعامله في البصرة وخزّان بيت مال المسلمين في تلك المدينة، حيث أسروا البعض منهم ثمّ قتلوهم لاحقاً، والبعض نالوا الشهادة بعد أن مُنحوا الأمان من قبل أصحاب الجمل (ابن ميثم البحراني، ١٣٧٥: ٣/ ٦٠٧- ٦٠٨). ومن الواضح أنّ هذه الأفعال من مصاديق الظلم والفساد.

يقول قطب الراوندي من شارحي نهج البلاغة: الرخصة في قتال هؤلاء يعود إلى أنّهم قد شملتهم الآية الكريمة" إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً....." (سورة المائدة: ٣٣) وهم مصداق للآية الكريمة المذكورة آنفاً(الراوندي، ١٣٦٤: ٢/ ١٥٨). فخروج هذا الجيش على الإمام العادل يصل إلى مرتبة الحرب مع الله والرسول (ص) كما أنّ قتل ممثّلي الإمام (ع) وخزّان بيت مال المسلمين ونهب بيت المال وإيجاد الفرقة والشقاق بين المسلمين وتخريب النظام الإجتماعي للمسلمين يمثّل الفساد في الأرض، كما صرّحت به الآية الكريمة.(ابن ميثم البحراني، ١٣٧٥: ٣/ ٦١٩- ٦٢٠).

يبدو من حديث أمير المؤمنين (ع) أنّه لا يرى مقاتلة الظلمة فريضة إلهية فحسب، بل أن تركها وتجاهلها مصدر كفر المرء؛ ردّ الإمام (ع) على أحدهم ممّن اقترح عليه التوقّف عن مقاتلة أهل الشام (القاسطون) بالقول: إمّا القتال، وإمّا الكفر بما أتى به محمد (ص). فالله لن يرض عن خلقه لو أُرتكبت المعاصي في الأرض بينما هم يلتزمون السكوت ويتجاهلون فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لذا، فإنّني رأيتُ الحرب أسهل من الوقوع في قيود وسلاسل جهنّم. (المنقري، ١٤٠٣: ٤٧٤؛ ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ٢/ ٢٠٧- ٢٠٨).

٢.ضرورة الإلتزام بالبيعة ووجوب إعادة ناكثي العهد وطالبي السلطة

لاشكّ أنّ البيعة تُعقد عن طريق آراء الناس، ولكن بسبب عدم إمكانية حضور الجميع، فإنّ الحاضرين يُعتبرون شهوداً للغائبين؛ وفي هذه الحالة فإنّ الحضور الذين بايعوا يجب أن يبقوا على بيعتهم ويوفوا بعهودهم، بينما يقبل الغائبون بآراء الحضور ويعملوا وفقاً لذلك. من الطبيعي إذا لم يكن الأمر كذلك، فإنّ المجتمع سوف يشهد عدم الاستقرار كما أنّ إدارته ستواجه مشكلة (الشريف الرضي، لا تا: ٢٤٤-٢٤٥، الخطبة ١٦٩). هذا الموقف واضح في كلام أمير المؤمنين (ع): "وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ فَمَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ وَ لَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ." (المصدر السابق: ٢٤٨، خطبه١٧٣).

يقول الإمام علي في تكملة هذا الحديث، لو حصل خلاف هذا الأمر في المجتمع، لا مفرّ من مواجهته؛ بداية عن طريق الدعوة للعودة ولاحقاً عن طريق القتال. وهذا الحكم وفقاً لما ذكره الله سبحانه وتعالى: " وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (الحجرات/ ٩)" (ابن‌ميثم البحراني، ١٣٧٥: ٣/٦٢٤). ووفقاً لهذا الأساس فقد تفضّل الإمام بالقول: " فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ ... أَلَا وَ إِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ رَجُلًا ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ وَ آخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ" (الشريف الرضي، لا تا: ٢٤٨، الخطبه ١٧٣).

يبيّن هذا الحديث أنّ الحرب واجبة مع طائفتين؛ الأولى تلك المجموعة التي تخرج عن طاعة الإمام العادل بعد أن عقدت البيعة معه، وتتمرّد عليه وتدّعي أنّ الرئاسة حقّها، في حال أنّه قد ثبت للجميع أنّ الرئاسة ليست من حقّها. أمّا المجموعة الثانية فهي التي تتمرّد على الإمام وترفض كلّ أوامره وأحكامه، من الواضح أنّ المقصود من المجموعة الأولى هم الناكثين (أصحاب الجمل)، بينما المجموعة الثانية تشير إلى القاسطين (معاوية وأصحابه) . (ابن ميثم البحراني، ١٣٧٥: ٣/ ٦٢٥- ٦٢٦).

وحيث أنّ أصحاب الجمل ادّعوا أنّ عليّاً (ع) قد أخذ منهم البيعة بالإكراه، أو أنّهم لم يبايعوا في الأصل (الشريف الرضي، لا تا: ٤٨، الكلام ٨؛ ابن ميثم البحراني، ١٣٧٥: ٣/ ٦٠٩- ٦٢٠)، لذا فقد نكثوا عهودهم وتمرّدوا على الإمام (ع) (الشريف الرضي، لا تا: ٦٣ و ١٩٥ و ٣٣٦-٣٣٧، الخطبة ٢٢، الكلام ١٣٧ و ٢١٨؛ المفيد، بي تا: ٨٨- ٨٩ و ١٢٣- ١٢٤).

وفي هذا السياق، فإنّ الإمام علي (ع) تحدّث إلى هؤلاء كثيراً وطالبهم بالعودة مراراً وتكراراً (الشريف الرضي، لا تا: ٧٤ و ٣٢١-٣٢٢ و ٤٤٥-٤٤٦، الكلام ٣١ و ٢٠٥، الرسالة ٥٤) لكنّهم لم يكترثوا واستمرّوا في تمرّدهم. كما ذكر الإمام (ع) بخصوص هؤلاء: " إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَئُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِي وَ سَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هَذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ وَ إِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ

عَلَى أَدْبَارِهَا وَ نَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَ سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَ الْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَ النَّعْشُ لِسُنَّتِهِ" (المصدر السابق: ٢٤٤، الخطبة ١٦٩).

" اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَ ظَلَمَانِي وَ نَكَثَا بَيْعَتِي وَ أَلَّبَا النَّاسَ عَلَيَّ فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا وَ أَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلَا وَ عَمِلَا وَ لَقَدِ اسْتَثْبَتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ واسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ فَغَمَطَا النِّعْمَةَ وَرَدَّا الْعَافِيَةَ." المصدر السابق: ١٩٤-١٩٥، الكلام ١٣٧).

ثم يقبل معاوية أوامر الإمام (ع) وكان يطالبه أشياء لامبرّر لها (المصدر السابق: ٤٥٥-٤٥٦، الرسالة ٦٥؛ ابن أبي الحديد، ١٣٧٥: ٧/ ١٦٢).

بعد أن تولّى أمير المؤمنين (ع) الخلافة كتب رسالة إلى معاوية طالبه الحضورَ، لكنّ معاوية الذي كان يهدف إلى الاستيلاء على الحكم، رأى بيعة الناس للإمام (ع) غير صحيحة وعرّف نفسه المطالب بدم عثمان ونتيجة لهذا بدأ بالتمرّد وعدم إطاعة أوامر الإمام (ع) وفي النهاية أعلن الحرب على الإمام (ع) (الشريف الرضي، لا تا: ٣٦٩-٣٧٠ و ٤١٠، الرسالة ٩ و ١٠ و ٣٧؛ ابن أبي الحديد، ١٣٧٥: ٧/ ١٦٢- ١٦٣).

كما ذكر الإمام (ع) بهذا الصدد: " وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدِنِهِ فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ" (الشريف الرضي، لا تا: ٤٥٤-٤٥٥، الرسالة ٦٤).

٣.ضرورة الدفاع عن الثغور والأرض

أحد البنود الخاصّة بمواجهة المحاربين يتمثّل في الدفاع ضدّ أيّ إعتداء على الثغور؛ الأمر الذي يوجّهه الإمام (ع) إلى مالك الأشتر يبيّن هذا الوجوب ويوضّح أنّه من ضروريات الدفاع أمام الأعداء والمعتدين: "هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وَ جِهَادَ عَدُوِّهَا وَ اسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَ عِمَارَةَ بِلَادِهَا." (المصدر السابق: ٤٢٦-٤٢٧، الرسالة ٥٣).

بعد معركة صفّين، دأب معاوية على إرسال مجموعات بهدف الإغارة على الأراضي التي كانت تخضع لسيطرة الإمام (ع) (ابن هلال الثقفي، بي تا: ٢/ ٤١٦- ٤٢٣، ٤٦٩- ٤٧٩، ٦٠٠- ٦٢١)، (الشريف الرضي، لا تا: ٦٦ و ٧٢، الخطبة ٢٥ و ٢٩). توضّح خطب الإمام (ع) بعد تلك الأحداث أنّه كان يرى الجهاد والدفاع أمرين واجبين، وأنّ تركهما يسبّب الذلّ والهوان: " أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ وَشَمِلَهُ الْبَلَاءُ وَدُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءَةِ وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ وَأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ وَسِيمَ الْخَسْفَ وَمُنِعَ النَّصَفَ ... فَوَاللَّهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا." (الشريف الرضي، لا تا: ٦٩-٧١، الخطبة ٢٧).

وأيضاً هذا الأمر المهمّ يكمن في خطبة أخرى للإمام (ع) في معركة صفّين حيث يرى الحياة الحقيقية من خلال الانتصار على العدو ولو قُتل المرء في هذا الطريق، كما يرى (ع) الهزيمة موتاً ولو نجا المرء: " فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَ الْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ"(المصدر السابق: ٨٨-٨٩، الخطبة٥١).

كيفية تصرّف الإمام مع المحاربين

لا تُعتبر الحرب هدفاً في أيّ مدرسة إلهية، بل هي وسيلة. فقد كانت غزوات الأنبياء، وعلى الأخصّ رسول الإسلام (ص)، وجهاد قادة الحقّ وفقاً لهذا الأساس. بمجرّد أن قبل أمير المؤمنين (ع) مسؤولية قيادة المسلمين، واجه الحاقدين والحاسدين والأعداء وعبدة السلطة والجاه والمستغلّين، ونتيجة لما سبق فقد اضطرّ إلى مواجهة ثلاثة مجموعات في ميادين الوغى، وهذه المجموعات الثلاثة هي عبارة عن الناكثين (أصحاب الجمل) والقاسطين (معاوية وأصحابه) والمارقين (الخوارج). لكن في مواجهتها نكبّ الإمام (ع) في بداية الأمر على الإرشاد والنصح والتوضيح والحديث والإستدلال، فقد كان (ع) يبعث بالرسائل تارة ويطلب من العدو العودة إلى طريق الله سبحانه وتعالى، بينما تارة أخرى كان (ع) يوفد أفراداً ذوي خبرة وواعين، سواء محايدين أو حتّى متّفقين مع العدو، من أجل الهداية والإرشاد، وحتّى نفسه (ع) كان يواجه المعارضين ويدخل في نقاشات معهم. (جعفري، ١٣٧٢: ١/ ٤٨٠- ٤٨١).

ومن خلال قراءة السيرة الحكومية للإمام علي (ع) فيما يخصّ مبادئ وقواعد اللعبة الخاصّة بالتعامل مع المحاربين، تتطرّق إلى الذهن عدّة أسئلة: مَن أو أيّ جهة يمكنها التعامل مع المحاربين؟ هل يمكن لأيّ مسلم التعامل والتصرّف مع المحاربين حينما يشاهد تصرّفات تُعتبر مصاديق للمحاربة؟ ماهي قواعد التعامل مع المحاربين؟ هل التعامل مع المحاربين في جميع الظروف يخضع لاسلوب واحد، أو أنّه متغيّر وفقاً للظروف والمجموعات المختلفة؟

١.شروط التعامل مع المحاربين

يتّضح من تعليمات أمير المؤمنين (ع) أنّه لا يمكن لكائن مَن كان أو أيّ مجموعة من مواجهة المحاربين والتصرّف معهم، وهذا العمل يتطلّب مؤهّلات ضرورية معيّنة. أهمّ ميزة يحتاجها العمل يتمثّل في البصيرة، ومع بدء فتنة الجمل يقول (ع) بشأن مؤهلاته في التعامل مع أصحابها: "... وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي وَ لَا لُبِّسَ

عَلَيَّ ..." (الشريف الرضي، لا تا: ٥٤، الخطبة ١٠ ؛المصدر السابق: ١٩٤-١٩٥، الكلام ١٣٧).

فالإستقامة والإلمام والمعرفة ببنود الحقّ، شروط أخرى يجب الحصول عليها بهدف مواجهة المحاربين والتعامل معهم. يذكّر الإمام (ع) أنصاره في مواجهتهم لأصحاب الجمل بهذه النقطة: " وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ والصَّبْرِ وَ الْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ ." (المصدر السابق: ٢٤٧-٢٤٨، الخطبة ١٧٣).

بعبارة أخرى، لن يمكن لأحد حمل راية المواجهة مع الظلمة والمعتدين من أهل القبلة، والمقصود بأهل القبلة هم أصحاب الجمل الذين يُعتبرون من مصاديق المحاربين) سوى أصحاب البصيرة والحكماء . وهؤلاء الذين يبدون الصبر مقابل الأحداث البغيضة، وأمام الوساوس يجتنبون التسرّع، ولديهم إلمام كامل بقضايا الحقّ، بإمكانهم قيادة اولئك الأفراد. (ابن ميثم البحراني، ١٣٧٥: ٣/ ٦٢٦- ٦٢٧).

لاحقاً يلفت الإمام (ع) انتباه الناس لمراعاة المبادئ الشاملة في الحرب ضدّ المعتدين من أهل القبلة، وهي عبارة عن العمل بمقتضى الأوامر التي تصدر إليهم، والإمتناع عمّا يُنهون عنه، وألا يستعجلوا في القيام بأعمال لم توضّح لهم على الوجه الأكمل (المصدر السابق: ٣/ ٦٢٧): " فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ وَ قِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ وَ لَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً" (الشريف الرضي، لا تا: ٢٤٧-٢٤٨، الخطبة١٧٣)

المقصود من الجملة الأخيرة هو أنّه في موضوع نفي أمر ما قام به الإمام (ع) أو أصدر أمره بخصوصه، ألا يستعجلوا قبل أن يتعلموا منه شخصياً كيفية أدائه والفائدة منه، والسبب أنّ الإمام (ع) بإمكانه تغيير وتبديل أيّ أمر لايرغبون فيه، أي أن يحوّله إذا لم تكن فيه فائدة، وأن يقوم بإصدار أمر فيما لو كان هناك موضوع ينفونه هؤلاء أو يستائون منه كيف يمكنه توضيحه، لأنّه ربّما الأمر الذي يستائون منه ليس بالأمر القبيح، وبسبب عدم الإلمام بالأسباب والمصالح يقيّمون الأمر على أنّه قبيح، لذا يتسارعون بنفيه عن طريق اللسان أو العمل، ونتيجة لذلك يتعرّضون للخطأ والإنزلاق. (ابن ميثم البحراني، ١٣٧٥: ٣/ ٦٢٧).

على هذا الأساس، أهم شروط التعامل مع المحاربين تتمثّل في البصيرة والصبر والإلمام بقضايا الحقّ، وفي غير هذه الأمور لو كان هناك شخص يملك العدّة والعتاد بصورة كافية، ليست لديه الصلاحية للقيام بمثل هذه المهمّة أو المسؤولية.

٢.الإرشاد والإصلاح في التعامل مع المحاربين

يُمَثِّل الحوار وإسداء النصيحة الحل الأساسي والرئيسي والدائم لأمير المؤمنين (ع) في تعامله مع المحاربين. كان (ع) يسعى من خلال هذا الأسلوب لإعادة الأفراد إلى جادّة الصواب والحقّ، وبالتأكيد كان النجاح حليفه من خلال هذا الأسلوب. يوضّح أمير المؤمنين (ع) هذا السلوك في إحدى خطبه على الوجه التالي: " رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذُ مِنْ صَوْلٍ" (الشريف الرضي، لا تا: ٥٤٥، الحكمة ٣٩٤)كان أمير المؤمنين (ع) يتبع هذا الأسلوب أثناء مواجهته للمجموعات الثلاثة من المحاربين ولم يتراجع قيد أنملة عنه في أيّ حال من الأحوال.

٢-١ .الناكثون

خلال مواجهته لطلحة والزبير وتعامله معهما، بعث أمير المؤمنين (ع) بعدّة رسائل لهما كما أرسل عدّة أشخاص إليهما وكم مرّة كان هو شخصياً (ع) يتحدّث إليهما.يقول أمير المؤمنين (ع) في خطاب له موجّه لطلحة والزبير يخصّ اتهامات أطلقها الاثنان (الشريف الرضي، لا تا: ٣٢١-٣٢٢، الكلام ٢٠٥): " رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا رَأَى حَقّاً فَأَعَانَ عَلَيْهِ أَوْ رَأَى جَوْراً فَرَدَّهُ وَكَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ " (المصدر السابق).

كما يقول (ع) في رسالة له موجّهة للشخصين بعد إتمام الحجّة عليهما والإتيان بالأدلّة والبراهين؛ (المصدر السابق: ٤٤٥-٤٤٦، الرسالة ٥٤) الآتي: " فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا فَإِنَّ الْآنَ أَعْظَمَ أَمْرِكُمَا الْعَارُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَجَمَّعَ الْعَارُ وَ النَّارُ وَالسَّلَامُ" (المصدر السابق).

النقطة المثيرة للاهتمام في كلمات الإمام (ع) والتي تلفت النظر، هي أنّه (ع) بدأ بالمنطق والحجّة مع طلحة والزبير وأجاب على تهمهم التي أطلقوها بالأدلّة والبراهين؛ وهذه السياسة مشهودة في تصرّفاته وخطبه الأخرى، بينما الدعوة إلى الحقّ والعودة إلى الطريق السويّ تأتي بعد هذه الحجج والمنطق. يبدو أنّه (ع) قد بدأ بتوضيح الحقّ والدعوة إليه، ولم يطالبهما بالعودة إلى الحق قبل توضيح الحقّ لهما. (المصدر السابق: ٣٢١-٣٢٢ و٤٤٥-٤٤٦، الكلام ٢٠٥، الرسالة ٥٤؛ ابن أعثم الكوفي، ١٤١١ق: ٢/ ٤٦٥).

لم يكتف الإمام (ع) بكتابة الرسائل، بل أرسل عدّة مرات عبدالله بن عبّاس وأفراد آخرين من أجل إسداء النصح والتحدّث إلى هؤلاء الأفراد (طلحة والزبير وعائشة). (الطبري، لا تا: ٥٠٢/٣؛ المفيد، لا تا: ١٦٧- ١٧٠)؛ الشريف الرضي، لا تا: ٧٤، الكلام ٣١). وفي يوم الجرب، تحدّث الإمام (ع) شخصياً إلى الزبير، وهذا الأمر سبّب في ترك الزبير لميدان الحرب ومغادرته له. (الدينوري، ١٣٧١: ٩٢/١؛ إبن أبي الحديد، ١٣٧٥: ١١٠/١-١١١).

يوضّح الإمام (ع) في كلام له أنّه سعى حثيثاً لإعادتهما إلى طريق الحق. لكنّهما لم يستفيدا من الفرصة التي سنحت لهما: " وَلَقَدِ اسْتَتَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ وَ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ فَغَمَطَا النِّعْمَةَ وَرَدَّا الْعَافِيَةَ" (الشريف الرضي، لا تا: ١٩٤-١٩٥، الكلام ١٣٧).

على هذا الأساس، فإنّ أمير المؤمنين (ع) لم يهدف في تعامله معهما سوى الخير والدعوة إلى الحقّ، وحتّى حينما أعلن أصحاب الجمل الحرب وبدأوا بإطلاق السهام نحو جيش الإمام (ع) لم يبدأ بالحرب ضدّهم بل أرسل المصحف الشريف إليهم ودعاهم إلى كتاب الله (المفيد، ١٤١٣ق: ٣٣٩) لعلّهم ينصرفون عن الحرب.

٢-٢. القاسطون

أرسل أمير المؤمنين (ع) عدّة رسائل في تعامله مع معاوية وطالبه بالكفّ عن العناد. كان يتمّ الحجّة على معاوية من خلال تلك الرسائل ويردّ على تهمه وإدّعاءاته بالأدلّة والبراهين وبالتالي كان يدعوه إلى الحقّ. (الشريف الرضي، لا تا: ٢٤٧-٢٤٨ و ٣٦٩-٣٧٠ و ٤٥٤-٤٥٥، الخطبة ١٧٣، الرسائل ٩ و ١٠ و ٦٤).

دعا الإمام (ع) في إحدى رسائله معاوية إلى التقوى، وحذّره من الخروج عن الطاعة الإلهية التي تُعتبر إشارات واضحة لا تلبس فيها؛ وبموجب هذا طلب منه العودة إلى الحقّ: " فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ وَانْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ وَارْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَا تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَاماً وَاضِحَةً وَسُبُلًا نَيِّرَةً وَمَحَجَّةً نَهْجَةً وَغَايَةً مُطَّلَبَةً يَرِدُهَا الْأَكْيَاسُ وَيُخَالِفُهَا الْأَنْكَاسُ مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ وَخَبَطَ فِي التِّيهِ وَغَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ فَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ فَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرّاً وَأَقْحَمَتْكَ غَيّاً وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكَ وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ " (المصدر السابق: ٣٩٠، الرسالة ٣٠).

إضافة إلى أنّ أمير المؤمنين (ع) في رسالة أخرى لمعاوية يعرّف الدنيا كمكان للاختبار والتمحيص، ويحذّره من الوقوع في حبائل الشيطان ويخوّفه من العذاب الإلهي، ومرّة أخرى يطالبه بالعودة إلى الحقّ وإلى التقوى. (المصدر السابق: ٤٤٦-٤٤٧، الرسالة ٥٥). وفي رسالة أخرى، يدعو الإمام (ع) معاوية للتفكير والتأمّل وتجنّب الخلط بين الحقّ والباطل وفي النهاية يطالبه مرّة أخرى بالعودة إلى طريق الحقّ: " أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ الْأُمُورِ ... فَاحْذَرِ الشُّبْهَةَ وَاشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ جَلَابِيبَهَا وَأَغْشَتِ الْأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا ... فَمِنَ الْآنَ فَتَدَارَكْ نَفْسَكَ وَانْظُرْ لَهَا فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ اللَّهِ أُرْتِجَتْ عَلَيْكَ الْأُمُورُ وَمُنِعْتَ أَمْراً هُوَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَقْبُولٌ وَالسَّلَامُ" (المصدر السابق: ٤٥٥-٤٥٦، الرسالة ٦٥).

وبعد أن ثبت لأمير المؤمنين (ع) أنّ الرسائل المكرّرة لمعاوية لم تؤت ثمارها،بعث إليه جرير بن عبدالله بجليّ الذي كان من أنصار عثمان ومن أصدقاءه، على أمل إعادة معاوية إلى الطريق السوي عن طريق منطقه الخاصّ (جعفري، ١٣٧٢: ١/ ٤٨١). وفي هذه المعمعة، طلب أنصار الإمام (ع) منه أن يستعدّوا للحرب، لكنّ الإمام (ع) تفضّل قائلاً في الردّ عليهم: " إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ وَصَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ وَلَكِنِّي قَدْ وَقَّتُّ لِجَرِيرٍ وَقْتاً لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعاً أَوْ عَاصِياً وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَاةِ فَارْوِدُوا وَلَا أَكْرَهُ لَكُمُ الْإِعْدَادَ " (الشريف الرضي، لا تا: ٨٤، الكلام ٤٣).

يلفت أمير المؤمنين (ع) النظر في هذه الخطبة إلى أنّه على الرغم من جميع الجهود التي بذلناها، لاتزال إمكانية عودة أهل الشام إلى الخير موجودة (إن لم يكن كلّهم بل قسم منهم) ولو توقّفنا عن السعي لمنعْنا عودتهم.

وبعد القتال للاستيلاء على مصدر المياه في صفّين، لم يسمح أمير المؤمنين (ع) بالقتال لفترة زمنية، كما كان أهل الشام يلتقون وهم مطمئنّون من أصحاب الإمام (ع) وأهل العراق على ضفة النهر ولم يُسجّل أيّ احتكاك بينهم.فقد كان تأخير الإمام (ع) في الحرب مقصوداً حيث أنّ قسماً من أهل الشام لم يكونوا على معرفة بشخصية وأهداف ومقاصد الإمام (ع) بسبب دعايات معاوية، ولكي يقفوا على أخطائهم وأخطاء معاوية ويسلكوا طريق الهداية. ولكن البعض من أهل العراق أبدوا إمتعاضهم من التأخير ووجّهوا كلامهم للإمام (ع): يا أمير المؤمنين، نحن لم نترك منازلنا وعائلاتنا من أجل الإقامة في الصحراء، اصدر أوامر الحرب. كما أخبروه (ع) أنّ الناس يتحدّثون عن هذا التأخير، والبعض منهم يقول: إنّه يهاب الموت، بينما البعض الآخر يقول: يبدو وجود شبهة في حلالية أو شرعية القتال مع أهل الشام. (جعفري، ١٣٧٢: ١/ ٥٤٦-٥٤٧).

لكنّ الإمام (ع) ذكر في معرض ردّه عليهم الآتي: " أَمَّا قَوْلُكُمْ أَ كُلَّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ فَوَاللَّهِ مَا أُبَالِي دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي و تَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالَتِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا" (الشريف الرضي، لا تا: ٩١، الكلام ٥٥)

وكلّ هذا إن دلّ على شئ، فإنّما يدلّ على نفسية الإمام (ع) التوجيهية والإمتناع عن القتال وسفك الدماء.

٢-٣. المارقون

إنكبّ الإمام (ع) على الحوار والحجّة والمنطق في تعامله مع الخوارج ودعاهم للعودة إلى طريق الحقّ . (الظريف الرضي، بي تا: ٨٢ و ١٧٨-١٧٩ و ١٨٢-١٨٣، الكلام ٤٠، الكلام ١٢٢، الخطبة ١٢٥) حتّى بعد أن أمعن الخوارج في القتل، نرى أمير المؤمنين (ع) يطلب منهم العودة ويتحدّث إليهم مراراً وتكرارا. ولعلّة مرّات نراه (ع) يبعث بعبدالله بن عبّاس وصعصعة بن صوحان إليهم من أجل الحوار والنقاش. (البلاذري، ١٣٩٤ق: ٣٦٠ & ٣٥٣- ٣٥٤؛ الشريف الرضي، لا تا: الوصيّة ٧٧) كما أنّه يصدر توجيهاته بتشكيل مجموعة تضمّ إثني عشر شخصاً من الطرفين كي يجتمعوا ويتحاججوا فيما بينهم (البلاذري، ١٣٩٤ق: ٣٥٣). ولاحقاً يذهب قيس بن سعد بن عبادة ويتحاجج معهم، حتّى أنّ الإمام (ع) يذهب بنفسه حاملاً راية الأمام طالباً منهم العودة إلى الطريق السوي. (المصدر السابق: ٣٧٠-٣٧١) وكلّ هذا المجهود والسعي كانا بهدف هداية وخير هؤلاء فقط، فطلب الخير هذا واضح تماماً في الخطبة التي وجّهها الإمام (ع) للخوارج: " فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهَرِ وَبِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ عَلَى

غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ " (الشريف الرضي، لا تا: ٨٠، الخطبة ٣٦).

ما شوهد في تصرّف الإمام (ع) في هذا المجال، هو أنّه لم يكن يرغب في حصولهم على الهداية بشكل أعمى أو بدون منطق، كما يتّضح ذلك في هذه الأحاديث والخطب، لكنّ الإمام (ع) كان يريد عودة الأفراد إلى الحقّ عن طريق تذكيرهم بالدليل والمنطق، وإيقاظ عقولهم وتذكيرهم بالله والمعاد.

٣.القتال آخر أسلوب في التعامل مع المحاربين

كان أمير المؤمنين (ع) في مواجهته مع المحاربين يطلب منهم العودة إلى الطريق السويّ بأسلوب النصيحة والحوار. والآن هذا السؤال يطرح نفسه، ما هو العلاج إذا لم تثمر هذه الحوارات والنصائح، واستمرّ هؤلاء في غيّهم وزادوا من فسادهم؟ يتّضح من سلوك أمير المؤمنين (ع) عدم وجود بديل عن القتال في هذه الظروف مع دعاة الحروب والذين لايتردّدون في دخول معتركها" وَقَدْ قَلَّبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ (ص) فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ " (الشريف الرضي، لا تا: ٩٠-٩١، الخطبة ٥٤).

إنّ أمير المؤمنين (ع) لم يتراجع عن الخير والإنسانية حتّى في معمعة القتال، وقد كان يسعى لهداية البشر حتّى في مثل هذه الظروف، وكما كان يحذّر أفراده من اللعن قائلاً: " وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ واهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ " (المصدر السابق: ٣٢٣، الكلام ٢٠٦).

وبعد انتهاء حرب الجمل، وحينما كان الإمام (ع) يمرّ بالقرب من جسد طلحة قال: " لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيباً أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ " (المصدر السابق: ٣٣٧، كلام ٢١٩).

هذه الكلمات توضّح كم كان أمير المؤمنين (ع) متضايقاً من القتال وسفك الدماء، وكان يلجأ إلى الحرب في حالات الضرورة فحسب.وحينما كانت الحرب تشتدّ في صفّين ويمتطي الإمام (ع) جواده، كان يبدأ بالبسملة ويقول: " الحمدلله على أنعمه وفضائله كلّها، سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين، وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون".

وكان يتّجه صوب القبلة ويرفع يديه ويقول: " اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ وَشَخَصَتِ الْأَبْصَارُ وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ وَ وأَنْضِيَتِ الْأَبْدَانُ اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ الشَّنَآنِ وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا وَ تَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ " (الشريف الرضي، لا تا: ٣٧٣-٣٧٤، الدعاء ١٥،التعاميم)

هذا التصرّف يوضّح على أحسن وجه أنّ الإمام (ع) لم يكن ينسى هدفه المتمثّل بالله سبحانه وتعالى في معمعة القتال، وكان يتحرّك بهذا الفكر على الدوام. كان أمير المؤمنين (ع) يعلّم أفراده ومناصريه هذه النظرة ويذكّرهم أثناء القتال أنّ الهدف هو الهداية والمضي في طريق الله سبحانه وتعالى: "اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْجَوِّ الْمَكْفُوف ... إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ وَاعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ". (المصدر السابق: ٢٤٥-٢٤٦، الكلام ١٧١).

كما أنّه (ع) كان يأمر أفراده ومناصريه بمراعاة حقوق البشر ويعلّمهم الآداب الإنسانية في الحروب؛ ومن تلك الآداب الكامنة في كلمات أمير المؤمنين (ع) والتي تلفت النظر: لاتكونوا البادئين (المصدر السابق: ٣٧٣، الوصيّة ١٤) ولا الداعين (المصدر السابق: ٥٠٩، الحكمة ٢٣٣) للحرب على الإطلاق، ولاتحاربوا سوى من يحاربكم (المصدر السابق: ٣٧٢، الوصيّة ١٢). ولاتدعوا العداوة والبغضاء تدفعكم لقتال العدو قبل أن تدعوهم إلى طريق الحقّ وتغلقوا مسير الإعتذار أمامهم (المصدر السابق: ٣٧٢، الوصيّة ١٢). ولو انهزم العدو بإذن الله، لاتقتلوا الفارّ، ولاتلحقوا الأذى بالعاجز، ولاتقتلوا الجريح، ولاتثيروا مشاعر النسوة عن طريق الأذى. (المصدر السابق: ٣٧٣، الوصيّة ١٤). فجميع تصرّفات الإمام (ع) تدلّ على حبّه للإنسان وإشتياقه ورغبته لهدايته.

الخاتمة

خلال تولّي الإمام (ع) الخلافة كان يسعى على الدوام لهداية البشر وطلب الخير لهم، وهذه النفسية واضحة جدّاً في مواجهته لمعارضيه وتعامله مع المحاربين.

ضرورة مواجهة المحاربين في كتاب نهج البلاغة مبنية على ثلاثة عناصر رئيسية؛ ضرورة توقيف من يفسد في الأرض وينشر الظلم؛ وجوب الثبات على البيعة وضرورة إعادة من نكث بيعته أو يطلب شيئاً لاحقّ له فيه؛ ووجوب الدفاع عن الثغور وحرمة الأراضي، على كلّ مسلم.

ومن ثَمَّ فإنّ مصاديق المحاربين في زمن الإمام (ع) تنطبق على ثلاث مجموعات هي الناكثين والقاسطين والمارقين. شروط التعامل مع هذه المجموعات ومواجهتها من وجهة نظر الإمام (ع) كانت تتمثّل في الصبر والبصيرة والإلمام بمكوّنات الحقّ. وفي تعامل أمير المؤمنين (ع) مع تلك المجموعات ومواجهتها، كان (ع) في البداية يتحاور معهم بأساليب متعدّدة، وبعد أن أتمّ الحجّة والمنطق عليهم وردّ الشبهات، دعاهم للعودة إلى الحقّ، وفي هذا المجال لم يتردّد في أيّ مسعى، وحتّى اللحظات الأخيرة كان على أمل أن يعود البعض منهم عن غيّهم.

أمّا حينما صارت المحاولات غير مثمرة ولم تثمر جميع الجهود لإعادة الأفراد، وكانوا يستمرّون في فسادهم وسفك الدماء، لم ير الإمام (ع) بُداً من قتالهم. لأنهم كانوا يعتدون على حقوق المسلمين. ولكن هذا لايعني أنّ الإمام (ع) قد يئس من هداية المحاربين وطلب الخير لهم في هذه المرحلة، لأنّ الإمام لم يكن البادئ بالحرب على الإطلاق

بل كان جهاده وقتاله من أجل إعادة المحاربين إلى طريق الحقّ، حتّى أنّ أمير المؤمنين (ع) كان ينكبّ على التوضيح والهداية في بدء القتال، وأثناء المنازلة.

المصادر

- *القرآن الكريم*.
- إبن أبي الحديد، عزّ الدين أبو حامد (١٣٧٥). *تجلّي التاريخ في شرح نهج البلاغة*. ترجمة محمود مهدوي دامغاني. الطبعة الثانية. طهران: دار ني للنشر.
- ---------- (١٣٣٧). *شرح نهج البلاغة*. تصحيح محمد أبو الفضل إبراهيم. قم: مكتبة المرحوم آية الله مرعشي نجفي العامّة.
- ابن أعثم الكوفي، أحمد (١٤١١). *كتاب الفتوح*. تحقيق علي شيري. بيروت: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن طاووس، علي بن موسى (١٤١٣). *اليقين باختصاص مولانا علي عليه السلام بإمرة المؤمنين*. قم: دار الكتاب.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (١٤٠٤ق). *معجم مقاييس اللغة*. تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون. قم: مكتبة الإعلام الإسلامي.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٤). *لسان العرب*. الطبعة الثالثة. بيروت: دار صادر.
- ابن ميثم البحراني، ميثم بن علي (١٣٧٥). *شرح نهج البلاغة*. ترجمة قربانعلي محمّدي مقدّم و علي أصغر نوابي يحيى زاده. مشهد: مؤسّسة العتبة الرضوية المقدّسة للأبحاث الإسلامية.
- ابن هلال الثقفي، إبراهيم بن محمد (بي تا) *الغارات*. تحقيق السيّد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدّث. بي جا: بينا.
- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى (١٩٧٤). *أنساب الأشراف*. تحقيق وتعليق محمد باقر المحمودي. بيروت: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات.
- جعفري، محمد مهدي (١٣٧٢). *شعاع من نهج البلاغة(مع نقل المصادر والتطبيق مع روايات المصادر الأخرى)*. طهران: وزارة الثقافة والمنشورات الإسلامية، مؤسّسة الطباعة والنشر.
- الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (١٣٧١). *الإمامة والسياسة*. تحقيق علي الشيري. قم: الشريف الرضي للنشر.
- الراوندي، قطب الدين سعيد بن هبة الله (١٣٦٤). *منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة*. تصحيح سيّد عبد اللطيف كوهكمري. قم: مكتبة المرحوم آية الله مرعشي نجفي العامّة.
- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي (لا تا). *نهج البلاغة*، تصحيح صبحي الصالح. قم: مؤسّسة دار الهجرة.
- ---------- أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي(١٣٧٩). *نهج البلاغة*، ترجمة حسين أنصاريان. الطبعة الرابعة. طهران: بيام آزادي للنشر.
- ---------- أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي (١٣٧٨). *نهج البلاغة*. ترجمة سيّد جعفر شهيدي. الطبعة الرابعة عشرة. طهران: شركة المنشورات العلمية والثقافية.
- طباطبائي، سيّد محمد حسين (١٣٧٤). *الميزان في تفسير القرآن*. ترجمة سيّد محمد باقر موسوي الهمداني. قم: مكتب المنشورات الإسلامية لرابطة مدرّسي الحوزة العلمية في قم.
- الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير (بي تا). *تاريخ الأمم والملوك؛ راجعه وصحّحه وسجّله نخبة من العلماء الأجلّاء*. بيروت: منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات.
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (١٤٠٧ ق). *تهذيب الأحكام*. تحقيق حسن الموسوي خرسان. طهران: دار الكتب الإسلامية.
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (١٤٠٩). *التبيان في تفسير القرآن*. تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي. بي جا: مكتب الإعلام الإسلامي.
- العياشي، محمد بن مسعود (بي تا). *تفسير العياشي*. تحقيق الحاجّ السيّد هاشم الرسولي المحلاتي. طهران: المكتبة العلمية الإسلامية.
- فراهيدي، خليل بن أحمد (١٤١٠ق). *كتاب العين*. الطبعة الثانية. قم: نشر هجرت.
- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (١٤٠٧). *الكافي*. صحّحه وقابله الشيخ نجم الدين الآملي، قدّم له وعلّق عليه علي أكبر غفّاري ومحمد آخوندي. طهران: دار الكتب الإسلامية.
- المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي (١٤٠٣). *بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- مصطفوي، حسن (١٣٦٠). *التحقيق في كلمات القرآن الكريم*. طهران: مؤسّسة الترجمة ونشر الكتب.
- المفيد، أبو عبدالله محمد بن النعمان البغدادي (١٤١٣). *الجمل والنصرة لسيّد العترة في حرب البصرة*. تحقيق السيّد علي مير شريفي. قم: مؤتمر الشيخ المفيد.
- المنقري: أبوالفضل نصر بن مزاحم (١٤٠٣). *وقعة صفّين*. تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون. القاهرة: المؤسّسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع- القاهرة، ١٣٨٢ق. طباعة الأوفست في قم: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي.